ثقافة أطفالنا..

كنز إبداعي تضافرت الجهود لرعايته

لطيفة المطيري
فنانة تشكيلية، الرياض

«أحسست بأن الملك قريب من كل طفل»... بهذه الكلمات البريئة والصادقة عبرت الطفلة جواهر، التي شاركت خادم الحرمين مع أخيها سلطان بوضع حجر الأساس لبرنامج (الإثراء المعرفي) في إطار احتفالية (أرامكو) باليوبيل الماسي، في لفتة أبوية حانية منه، ورسالة بليغة تؤكد مدى اهتمام المملكة بالنشء كعنصر مكمل لعملية البناء الوطني، حيث حرص المليك -حفظه الله- على توجيه عدة رسائل رمزية لجميع أطفال هذا الوطن عن طريق هذين الطفلين، عندما شد على يديهما قائلاً: (اهتموا بهذا الحجر)، في رسالة تؤكد أن جميع أبناء الوطن سيساهمون في بنائه ووحدته والمحافظة عليه وعلى استقراره، حيث جسدت اللوحات الراقصة التي قدمها الأطفال في هذا المهرجان أمام المليك وكبار ضيوف الدولة معنى وطنيا وملحمياً صادقاً.

وبقدر ما كان مستوى التمثيل خليجياً وعلى مستوى رئاسي عال، كانت هذه الاحتفالية بهيجة وحميمة ركزت على أن الطفل هو رجل الغد ورمز المستقبل، ولذلك فإنه يستحق منا الكثير من الاهتمام، حين اصطفّ الأطفال أمام خادم الحرمين الشريفين وضيوفه، وأمام عدد كبير من المسئولين والاقتصاديين والدوليين، معبّرين عن روح وطنية جديدة ومعالم واضحة ترسم للطفل غداً واعداً ووعوداً زاخرة بأنه الاستثمار الأمثل والأنجح؛ حيث حرصت «أرامكو» على إشراك الطفل في جميع برامجها التي ترعاها ومعارضها المختلفة.

كما تعد المهرجانات الوطنية للتراث والثقافة في الجنادرية كل عام مناسبة تاريخية عظيمة في مجال الثقافة، ومؤشراً عميقاً للدلالة على اهتمام قيادتنا الحكيمة بالتراث والثقافة والتقاليد والقيم العربية الأصيلة، كما أنها مناسبة وطنية تمتزج نشاطاتها بعبق تاريخنا المجيد ونتاج حاضرنا الزاهر.

ومن هنا يأتي حرص خادم الحرمين الشريفين على أن يكون الطفل حاضرا في أغلب الفعاليات والاحتفالات، حيث كان الأطفال مشاركين في أول اوبريت يحضره الملك بعد توليه مقاليد الحكم بعنوان «وفاء وبيعة»، الذي خصصت فيه لوحة كاملة تدفق فيها الأطفال إلى مسرح الجنادرية ينشدون بأصواتهم للمليك، في ترسيخ قوي لمفهوم الوطنية، وأن الجميع بمن فيهم الطفل بايع المليك على السمع والطاعة وعلى بذل الغالي والنفيس لرفعة هذا الوطن الغالي، كما خصص مهرجان للطفل بأقسام خاصة تعنى به وبثقافته.

مكتبات الأطفال..

ولإيمان خادم الحرمين الشريفين- حفظه الله- بأهمية ثقافة الطفل المتنوعة، خصوصاً القراءة، فقد أنشأ مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض، وفرعها الثاني في منطقة المربع وسط المدينة، وخصص في كل منهما قسماً فسيحاً للأطفال، يحتوي على مختلف أنواع الكتب الخاصة بهم، وذلك

لغرس عادة القراءة فيهم منذ الصغر، كما تقام في هذين القسمين الخاصين بالأطفال مختلف النشاطات الثقافية الأخرى.

كما ساهم أيضا مسرح الطفل الذي تزامن تأسيسه كفاعلية رئيسية في الجنادرية مع تولي خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم، في ترسيخ واضح لمفهوم بناء جيل جديد يشارك في النهضة الوطنية والثقافية، حيث أصبحت المملكة العربية السعودية - بفضل دعم مليكها وقيادته الرشيدة- رائدة في مجال مسرح الطفل على مستوى الخليج في عمر قصير يضاهي مثيلاتها في باقي الدول، وجاء هذا الإنجاز ثمرة الجهود الوطنية المشتركة والدعم الحكومي المنقطع النظير للطفل في المهرجان الوطني للتراث والثقافة، ويعد هذا المسرح هو الأول من نوعه في مهرجانات الجنادرية المقامة والمخصصة للأطفال.. حيث يتعلق الطفل بالدمية أكثر من تعلقه بأشياء حقيقية. ومسرح الدمى هو المفضل للطفل ويمثل حجر الزاوية بالنسبة لثقافته.

الطفل والأدب:

ولما للأدب من دور كبير في تكوين شخصية الطفل بالشكل السليم فنحن بحاجة إلى أدب راقٍ نستطيع من خلاله محاكاة الطفل ومخاطبة طفولته، ونتعلم كيف نصوغ له عالماً يعكس واقعه، وكيف نشده إلى الكلمة والصورة، ونبني شخصيته ونعلمه القيم الإنسانية والدينية و كيف نعالج احتياجاته ورغباته أيضا، ومنه نتعلم كيفية التقرب منه أكثر وتقمص شخصيته والتفكير بطريقته، لنستطيع أن نكتب له ونصل إلى قلبه وعقله... من أجل ذلك كله أصدرت وزارة الثقافة والإعلام سلسلة أدبية تعنى بالطفل؛ إيمانا منها بالدور الكبير الذي يلعبه الأدب في حياة الأطفال وبناء شخصياتهم وتلبية حاجاتهم اللازمة للنمو السليم من الناحية الاجتماعية والفكرية؛ ليكون أدبا متفهما لحاجات الطفل وميوله وقدراته الفكرية واللغوية، حيث يعد أدب الطفل فرعاً من فروع الأدب الذي نحتاج إليه جميعاً لنضعه بين يدي أطفالنا ليكونوا أعضاء فاعلين في وطنهم ومجتمعهم، ونؤسس لهم مكاناً ثابتاً لا يتزعزع من منطلق أن أدب الطفل ليس مجرد تسلية، مع أن دوره كتسلية مهم جداً، فهو تثقيف للطفل، وفي ذات الوقت وسيلة تساعدنا على بناء شخصية الطفل المتكاملة، ولو طرأ على شخصية الطفل أي عارض أو مشكلة نفسية اجتماعية، يمكننا أن نوظف الأدب ليساعدنا في حل هذه المشكلة...

والاهتمام بثقافة الطفل لا يعني فقط إحياء الماضي أو استشراف المستقبل، بل لابد أيضا أن ينبع من الحاضر ويتعامل معه. ومن ثم تظهر أهمية وضع تصور متكامل لخطة تربوية تنموية للوصول إلى أهداف عليا مشتركة، من شأنها أن ترتقي بواقع الطفل وتخطط لمستقبله وتحيي تراثه ، لذلك قد حرصت وزارة الثقافة والإعلام في هذه الإصدارات على تبيان هذا الجانب.

> خادم الحرمين الشريفين حرص على أن يشارك الأطفالُ في أغلب الفعاليات والاحتفالات، مثل مهرجان الجنادرية

ومن جانب آخر فإن وجود الطفل بشكل رئيسي في الأيام الثقافية السعودية التي تقيمها وزارة الثقافة والإعلام في مختلف الدول الصديقة يؤكد ثقافة الطفل السعودي وهي رسالة واضحة على انفتاحه على الثقافات الأخرى وتعاطيه معها؛ ولا ننسى كيف اصطف أطفال المملكة وأطفال السويد في معرض دنيا المحبة الذي ضم رسوما عدة للأطفال تعكس تصورات كل طفل عن بلد الآخر. كذلك نجد أنه وضع جناح ثابت للطفل في معارض الكتاب التي تقام سنويا تحت مظلة وزارة الثقافة والإعلام .

مهرجان كان الحديث فيه للطفل:

«أنا والعالم» كان عنوانا لمهرجان ثقافة الطفل الأول الذي كانت رسالته الواضحة أننا نرى غالبا ما يكون فيه الحديث عن الأطفال. ولكن في هذا المهرجان كان الحديث لهم، في بادرة قوية من وزارة الثقافة والإعلام جسدتها طرق التحضير له كان من الديكور والألوان وصور الكرتون إلى الفعاليات الأخرى، التي كانت جميعها تخاطب عقل الطفل وتراعي اهتماماته وذوقه، وقد حرص القائمون على هذا المهرجان أن يدفعوا الطفل ليشعر بأن كل ما في المعرض له، وأنه المعنيّ الأول والأخير بكل نشاطاته، مما يدفعه بكل ثقة بأن يتجول بين الأركان ويختار ما يريده منها، الأمر الذي يتطلب مرونة كبيرة من الأهل لإعطائه فرصة الاختيار واصطحابه حيث يريد.

(أنا والعالم) أول مهرجان ثقافي شامل مخصص للطفل في المملكة

وقد احتوى هذا المهرجان على العديد من الأنشطة، منها: معرض خاص لكتاب الطفل، وعروض مسرحية وبرامج ثقافية، وأنشطة علمية، وفن تشكيلي... خاطبت بها الجهة المنظمة موهبة الطفل الفنية.. وتهدف الوزارة من هذا المهرجان إلى الالتفات إلى أهمية مخاطبة الطفل ثقافياً بمثل تلك التظاهرة الكبيرة، لتترك أثرا عميقا في نفوس الأطفال. كما شاركت بعض السفارات الأجنبية في المهرجان وأبرزها السفارة اليابانية والألمانية لتقدم كل منها صورة لثقافة الطفل في بلدها، في تمازج فريد للثقافات، وكان الطفل هو المحرك الأساسي لهذا التمازج، حيث حرصت الوزارة على تبيان ثقافة الطفل السعودي في هذا المهرجان، وأن المملكة قادرة على إيجاد البيئة السليمة للنمو الثقافي للطفل، كما أن المهرجان اهتم بالموضوعات التي تهم وتخدم ثقافة الطفل، وكيف يساعد الأم على غرس هوية إسلامية لدى أطفالها، وكيفية تواصل الأمهات مع أبنائهن ومعرفة احتياجاتهم، والتعامل معهم وهم على أبواب المراهقة...

ولما للفن التشكيلي من دور كبير في تنمية الطفل وصقل شخصيته وتشجيعه على الإبداع والابتكار فقد خُصص له ركن كبير أقيم فيه مرسم للأطفال يشرف عليه نخبة من المختصين في التربية الفنية تحت شعار «أطلق العنان لخيالك وريشتك وعبر عن إبداعك».

هذا المرسم يستقبل الأطفال تاركاً أمامهم الأوراق وأقلام التلوين والأوراق الملونة ليخطّوا إبداعهم بإرشاد متخصصين، ومن ثم يقوم هؤلاء المشرفون بوضع غلاف للوحة بعد كتابة اسم الطفل عليها وتعليقها في المعرض، ويعطى الطفل المشارك شهادة تقدير لمشاركته في هذا المرسم، باعثا فيه روح الرضى ومحفزا له على مواصله الرسم لتنمية هذه الموهبة...

ومثل هذا التقدير لجهود الطفل يكون له الأثر الكبير في إذكاء روح الإبداع لديه، حيث لا ننسى كيف عرض الطفل السعودي المعجزة ذو الثماني سنوات ١٣ لوحة فنية في باريس، واعتبر أصغر فنان تشكيلي من مركز الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز للأطفال الموهوبين ذوي الاحتياجات الخاصة في تشريف يحسب للوطن، حيث شكلت مثل هذه البيئات الثقافية الحاضنة للطفل النواة الأولى لاكتشاف الموهبة والإبداع لديهم ورعايتها، حيث أن وزارة الثقافة والإعلام بصفتها الراعي الثقافي الرئيسي في المملكة حرصت على افتتاح العديد من المعارض التي تعنى بالموهبة والإبداع لدى الطفل، كان آخرها المعرض الثالث لفن الطفل واكتشاف المواهب الذي يحمل عنوان «تأثر ويؤثر» و يضم أكثر من ٢٠٠ عمل ويهدف المعرض إلى اكتشاف المواهب لدى الأطفال وتعريفهم بالفنون ودعمهم ثقافيا وعلميا. كذلك حرصت الدولة على إدراج نشاطات خاصة بثقافة الطفل في النوادي الأدبية في جميع المناطق وجعلها برنامجا دائماً يهتم بالطفل وثقافته من جميع النواحي.

لذا كانت العناية بثقافة الطفل في مقدمة اهتمامات حكومتنا الرشيدة، التي اتسمت بالاهتمام الواسع بثقافة الطفل بشتى فروعه والرقي به إلى أعلى مستويات الثقافة المتكاملة من جميع النواحي، فساهمت مساهمة فعالة في التنشئة السليمة له في ظل أجواء ملائمة لجميع الظروف التي تحفزه على الاستمرار في حياة يسودها الطمأنينة والهدوء.

هند العصيمي
اختصاصية العلاج الترفيهي
مركز الملك فهد الوطني لأورام الأطفال ومركز الأبحاث

أبناؤنا.. بين الإلزام وحرية الاختيار

لا أحد يشك في أن كل الآباء والأمهات يحبون أطفالهم، ويتمنون أن يكونوا أفضل أفراد المجتمع، ويبذلون كل الوسائل الممكنة لتحقيق هذه الغاية. ولكن بعض هذه الوسائل أو الأساليب التربوية قد تكون ذات خطر كبير على نفسيات الأبناء، وتؤثر في شخصياتهم عندما يكبرون..

وبعض الأهالي، بدافع خوفهم على الأبناء وحرصهم على مصلحتهم، نجد أنهم يجبرونهم على اتباع سلوكيات يعتقدون أنها تناسب أطفالهم، وهم بهذا يُغفلون شخصية الطفل وتركيبته التي خُلق وجُبل عليها، متوقعين أن الذي يناسبهم هم هو الذي سيناسب طفلهم، ولذلك فإنهم لا يتركون للطفل أي مجال للاختيار أو تقرير ما يريد، من الأمور الدنيوية المباحة، مثل: انتقاء ملابس معينة، أو تناول طعام بدل آخر، أو ممارسة هواية ما.. بل إنهم يلزمون الطفل بما يرونه هم حسناً له، حتى لو أبدى عدم رغبته فيه، ويجبرونه على اتباع ما يريدون وهم يحسبون بذلك أنهم يحسنون صنعاً!

أقول هذا من واقع تجربتي وخبرتي في التعامل مع الأبناء المرضى في مركز الملك فهد الوطني لأورام الأطفال، في قسم العلاج الترفيهي، حيث أكون قريبة جداً من فلذات الأكباد المرضى ومن مرافقيهم من الأهل؛ فقد لاحظت هنا أن بعض الآباء والأمهات يُملُّون على أطفالهم بعض التصرفات ويجبرونهم على تنفيذها من غير أي تفكير حتى فيما يقومون به من أعمال فنية مثل الرسم أو التلوين، وعندما أسأل الأهل: لماذا تطلبون من طفلكم عمل ذلك؟ يردّ بعضهم: «هذا هو المناسب له ونحن أعلم به»!

والواقع أن هؤلاء الأهالي، مع حسن نيتهم في تصرفهم مع الأبناء، يتجاهلون بعض المبادئ المهمة في تربية الأطفال، منها: البناء السليم لشخصية الطفل، والمحافظة على استقلاليته، ومساعدته على اتخاذ القرارات الصحيحة في المستقبل، بدل انتظار آراء الآخرين والاعتماد عليها، وهذا مما نلاحظه كثيراً من تردد لدى بعض شباب هذا الجيل، بسبب بعض الأساليب الخاطئة عند الصغر..

اتركوا لأطفالكم مساحة من الحرية، وعلموهم كيفية اتخاذ القرار الصحيح، والاختيار بين عدة أشياء، وبهذا تكسبون جيلاً قوياً مسؤولاً عن اختياراته، دون أن ينسوا، في الوقت نفسه، أهمية الاستشارة، والاستعانة برأي الأهل والمختصين.